إبهامات مقصودة (العشاق... يحبّون... الققط القويّة والناعمة...، كلاها الخصبية). وفي هذا يقوم ميشال بيتور¹ Michel Butor بتسجيل ذينك الطابعين عند بودلير بقوله: «هذان الطابعان: الأنوثة والفحولة الحارقة، لا ينفي أحدها الآخر بل يترابطان».

ثانياً: كلّ شخصيّات السونيته هي من النوع الذكريّ، لكنّ الققط ومثيلاتها "السفنكس" Sphinx الكبيرة تشارك بطبيعة متعلّقة بالجنسين معاً androgyne.

والغموض نفسه مسجّل على طول السونيته، بواسطة المفارقة في اختيار الموصوفات المؤنّثة كقوافٍ مسمّاة مُدكّرة. من كوكبة النجوم الأوّليّة للقصيد المكوّنة من العشاق والعلماء، تسمح الققط بتوسّطها من حذف النساء، لتتركّ وجهًا لوجه، إن لم يكن بشكل مختلط، "شاعر الققط" محرّراً من "الحبّ الضيق جدًّا". كما تتركّ الكون متخلّصًا من صرامة العالم».

¹ - كلام ميشال بيتور مقبوس، كما هو مذكور في ص 21 من:

M. Butor, Histoire extraordinaire, essai sur un rêve de Baudelaire, Paris, 1961, p. 85.

السياحة الدينية الإسلامية وفُرَص الاستثمار في
الموروث الروحي والثقافي للزوايا بولاية النعامة
أ.د. علي نابتي

مُقَدِّمة:

تعرف السّاحة العلمية والفكرية في الجزائر منذ أواخر تسعينيات القرن المنصرم، عودة ملحوظة للأبحاث التي تهتم بدراسة ظاهرة الزّوايا وحركة التّصوف المغاربي إذ احتل هذا الموضوع حيّزا مهما ضمن اهتمامات الأوساط الجامعية الأكاديمية ناهيك عن التحليلات المستفيضة في الصّحافة الجزائرية والأجنبية على حد سواء، حدث هذا بعد فترة من التهميش والنسيان¹.

الحديث عن مجال الأولياء الصالحين وعلاقته بالتنمية الاقتصادية في جزائر الألفية الثالثة قد يثير الدهشة لأول وهلة، فإذا كانت الودعات الشعبية التي تُنظم، عادة تحت رعاية القبيلة في ظل استقطابية هذا النوع من المقدّس لا تزال تؤكد استمراريتها وحضورها، فلا تُحتمل في ثناياها مدلولاً هوياتياً مهماً يؤشر على رسوخ الطرق الصوفية في الديار الجزائرية، وبروزها كراعي للمرجعية الدينية السنية على المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية. وهي تُمثل كذلك مُكوّنا حيويا من مكوّنات الثقافة الجزائرية، وفاعلا مؤثرا في

¹.BEN HOUNET, Y., Sid Ahmâd Mâjdûb ou “ l'individu hors du monde ”, Revue INSANIYAT, Oran, n° 21, juillet - septembre, 2003, p. 61.

تاريخ الجزائر الحديثة، بل أنّ قراءة هذا التاريخ بمعزل عن أثر الفعل الصوفي لا تعدو أن تكون مجرد قراءة مختزلة ونسبية النظر، حتى أنّ البعض حكم على ثقافة المغارب بأنها « ثقافة التصوف والتاريخ والذكرى »¹.

ضمن هذا المنظور، منحت الدولة الجزائرية أهمية لافتة للطرق الصوفية من خلال التشجيع على تأسيس الجمعية الوطنية للزوايا ومشاركتها في وزارة الشؤون الدينية وفي أبرز برامج قناة القرآن الكريم.

العلاقات بين الدين والتراث والسياحة في المغرب الاسلامي عميقة ومتعددة. عملية استثمار ذات معنى عريق (إن لم تكن أصلية؟)، علاوة على ذلك، فقد ترك الدين مفرداته للتراث: من يدرك اليوم معنى «العالم الروحي» الذي يحيط بنا سيتحدث عن تكريس ممارسات عريقة، مُرتكزة على «الفقه والتربية الروحية»² والافتداء بالأولياء الصالحين والحرص على زيارتهم، وهي سلوكات ومسالك متجذرة في المغارب بحيث لا يمكن تجاهلها فهي تُمثل مرجعية اسلامية وكذلك علامة للسياحة الدينية والثقافية.

¹. عبد الله العروي، خواطر الصباح: يوميات (1967 - 1973)، الدار البيضاء - بيروت، المركز الثقافي العربي 2001، ص. 68.

². أنظر: علي نابتي، أمحمد بن أبي زيان القندوسي: طريقته الصوفية والأدوار المتعددة لزوايته، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، جامعة معسكر، العدد 11، ديسمبر، 2016.

يعطي هذا الفهم المغاربي للموروث الروحي والثقافي مكاناً جيداً للطرق الصوفية والزوايا، التي يشار إليها أكثر فأكثر باسم «التراث الاسلامي الصوفي»، تحظى غالباً عن غيرها من المعالم والمواقع الأثرية بنظرة مُتميّزة وممارسة خاصة ولعلّ مقارنة الجامعة الجزائرية اليوم لفعاليات الفضاء الصوفي الجزائري، هي اللحظة التي يتزايد فيها الاهتمام بالتقاليد الدينية التاريخية التي سعت دول مسلمة مختلفة إلى حمايتها باسم التراث والسياحة. يجب القول أنّ لقاء التراث والسياحة لا يحدث في حد ذاته في ميدان بكر: كظاهرة وكموضوع تمثّل، لاسيما إذا علمنا بأنّ التراث يُولد بالفعل من نظرة «الأخر» بما في ذلك السائح.

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، تغيّرت صناعة السياحة، بسبب تزايد عدد السائحين والوجهات من خلال تطوير مجالات جديدة، بما في ذلك شعب السياحة وفروعها. ومن بينها، السياحة الدينية - التسويق المنهجي للحج أو الزيارات في مختلف الديانات ومختلف الجماعات الدينية في الشرق والغرب - تستهدف زبائن ينجذبون إلى «الأماكن المقدّسة» بحكم ممارسات المناسك الدينية التي يلتزمون بها¹. تقوم هذه السياحة أولاً وقبل كل شيء على تكريس الذاكرة - يتم تحريكها، على سبيل المثال، بمزار قديس أو وليّ أو مرقد نبوي - ولعلّه السبب في أن هذه المزارات المقدّسة

¹. Bauer, M. (1993), «Tourisme religieux ou touristes en milieux religieux. Esquisse d'une typologie», Cahier Espaces, no 30, août, p. 27-37.

تفسح المجال بانتظام لمجموعات جديدة، أكثر ملاءمة للاحتفال التسويقي للسياحة الدينية (مكة المكرمة والمدينة المنورة، بيت المقدس ومزارات فلسطين، مزارات الجزائر، مزارات العراق، بازيليك المهدي، على سبيل المثال). في المقابل، تقوم سياحة التراث الديني على المعالم الأثرية، أي بالتحديد على الأشياء (المواقع والمصنعات المعمارية، وما إلى ذلك) التي تكون أكثر إثارة للاهتمام بحكم القيم الثقافية الأوسع. لئن كان تراث التصوف السني في المغرب قد تشكل انطلاقاً من الجوهر الإسلامي، ومع ذلك فهو متعلق بالأثر: يتم إضفاء صفة التراث على الزوايا وقباب أضرحة الصّالحين ومقاماتهم وآثارهم المخطوطة، فتحظى بالاعتبار التراثي بما يتجاوز وظيفتها أو فائدتها. وهكذا جعلت الدولة الجزائرية من الزوايا الصوفية ومدارسها القرآنية وقباب أضرحة الأولياء الصالحين آثاراً للمسار التاريخي للأمة في طور التكوين؛ من خلال إضفاء الطابع المؤسسي على تراث مُكوّن من أشياء للذاكرة، من خلال تعريف مكرس، مُثمن تم وضعه في السياحة اليوم باعتباره آثاراً مادية وغير مادية وإسلامية بالضرورة لتراث مشترك.

أولاً/ السياحة الدينية في الجزائر فرصة ومسؤولية..

يمثل قطاع السياحة في الاقتصاد الجزائري نسبة 9.3٪ من حجم الصادرات، نسبة 5,9٪ من الاستثمارات الإنتاجية و1,8٪ من الناتج المحلي الخام. تؤشر هذه البيانات على عدم إعطاء السياحة المكانة التي تستحقها من حيث الإبطاء في توجيه القطاع نحو الأفضل والابطاء في تجسيد الكثير

من الاستثمارات¹. في فبراير 2008م، شرعت السلطات العمومية في أخذ تدابير لإنعاش قطاع السياحة، في السياق تم عرض استراتيجية تنمية سياحية (المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية أفق سنة 2025م) لمختلف الفاعلين في السياحة، بهدف تطوير السياحة على مرحلتين، بداية التوجهة إلى الجزائر بحلول العام 2015م والتنمية السياحية بحلول العام 2025م.

حيث تُعدّ السياحة الروحية أو الدينية فرصةً سانحة للاستثمار وتحصيل الثروة، انطلاقاً من احتضان الجزائر لأضرحة رجال التصوف المشهود لهم بالولاية والصلاح من أمثال أبي مدين بن شعيب الإشبيلي المعروف بـ: «سيدي بومدين الغوث» ومسجده العباد في تلمسان؛ والولي الصالح والمربي الزاهد القطب الغوث الجامع بين الشريعة والحقيقة سيدي عبد الرحمن الثعالبي، الذي يصل نسبه إلى سيدي محمد بن سيدي جعفر بن أبي طالب ومسجده وضريحه بالقصبة؛ وسيدي أحمد بن يوسف الراشدي الملياني، من أشهر مشايخ الصوفية بالجزائر وبلاد المغرب في بداية القرن العاشر الهجري السادس عشر للميلاد، ساهم في بداياته بنشر الطريقة الشاذلية والزروقية، ثم بدأ بنشر طريقته الخاصة به المعروفة بالراشدية أو اليوسفية، ومن أشهر تلامذته في التصوف بالجنوب الغربي الجزائري الشيخ سيدي سليمان بن أبي سماعة، وابنه رائد التصوف الخلواتي سيدي أحمد المجذوب، وحفيده عبد

¹. عبد اللطيف بن أشنهو، عصرنة الجزائر حصيلة وآفاق، ALPHA Design، 2004، ص. 21.

القادر بن محمد المعروف بسيدي الشيخ مؤسس الطريقة الشيخية، ومن نسله محمد بن العربي بن سيد التاج المعروف بسيدي بوعمامة مؤسس الطريقة العمامية.

كما تحتضن الجزائر مقر الخلافة العامة للزاوية التيجانية نسبة لمؤسسها سيدي أحمد التيجاني، هذه الحاضرة الروحية العامرة ب عين ماضي شمال غرب مدينة الأعواط، وخلوته بقصر بوسمغون غرب قصر عسلة، وكلاهما يمثل مركز إشعاع فكري وروحي وقبله للملايين من الأتباع والمريدين عبر العالم.

وتحتضن الجزائر أيضا المركز العالمي للطريقة البلقايدية الهبرية، بالإضافة إلى مسجد كتشاوة بالعاصمة في بعده الحضاري العثماني، وهو اليوم إحدى جواهر الآثار الإسلامية في الجزائر وقطبا سياحيا يقصده المئات من الباحثين والزوار من أوروبا والعالم.

من وجهة النظر الاقتصادية، تُشكّل هذه الكنوز الجزائرية الثمينة التي تشمل مختلف معالم العمارة الإسلامية، والطرق الصوفية وأضرحة الأولياء يُعديها الروحي الصوفي والتراثي المادي، ثروة سياحية عالية القدر والقيمة غير أنها غير مستغلة، للأسف. تشير الإحصائيات الرسمية لوزارة السياحة إلى أنّ الجزائر مصنفة عالميا بوصفها وجهة صوفية منذ حقب تاريخها الوسيط حيث يلامس أتباع الطرق الصوفية الجزائرية سقف 250 مليون مريد عبر إفريقيا والعالم وهو رقم يكشف عن أهمية الجذب السياحي الروحي خاصة

وأن تقارير وزارة الشؤون الدينية تحصى أزيد من 35 طريقة صوفية وأكثر من 900 زاوية لها أتباعها ومريدها في الداخل والخارج، إضافة لمزارات الأولياء والطرق الصوفية التي من شأنها أن تستقطب المريدين والأتباع من جميع بقاع العالم، خاصة إفريقيا ودول جنوب شرق آسيا، ناهيك عن الزيارات والمناسبات التي تنظمها الزوايا حيث تجمع سنويا ما يفوق 12 مليون زائر¹.

وهؤلاء الأتباع والمريدون هم مفاتيح «القوة الاقتصادية الناعمة» والتي من شأنها مساعدة الجزائر على التمكين لدبلوماسيتها وتعزيز عمقها الاستراتيجي بإفريقيا، ولتذكر دوما بأن الإسلام وقد انتشر بالتجار المسلمين وأخلاقهم السمحة في المعاملة. تؤشر هذه الأرقام مجتمعة على أنّ الجزائر يمكنها استقطاب جزء مهم من هذه الجموع الغفيرة لو تم تطوير الزوايا وأضرحة شيوخ الزوايا في شكل مركبات روحية كاملة التجهيز، بحيث يجد المريد القادم من الخارج شروط السياحة الروحية المناسبة. وعلى سبيل المثال فإن استقطاب مليون مريد للطريقة التيجانية وحدها في السنة ومع كل سائح إمكانية إنفاق ألف أورو لأمكن دعم الاقتصاد الوطني بمليار أورو وهو ما يساوي كامل التصدير خارج المحروقات، وأما إذا تم تحقيق وفود عشرة ملايين مريد فالمبلغ يرتفع إلى 10 مليار أورو أي إلى 30 بالمائة من صادرات الجزائر من المحروقات². وعليه، بات من الضروري إدراج السياحة

¹ . يومية الحوار الجزائرية، الصادرة بتاريخ: 17 فبراير 2019م.

² . يومية الشروق الجزائرية، الصادرة بتاريخ: 03 مارس 2016م.

الروحية أو الدينية ضمن برنامج عمل وزارة السياحة والصناعات التقليدية والشؤون الدينية معاً، في إطار المخطط الوطني لتطوير السياحة.

وفي سياق متصل، كشف الباحث عمر بن عيشة في دراسته الحديثة حول المعتقد الشعبي والتراث المقدس شملت 75 ألف ضريح عبر الوطن « أن الجزائر بإمكانها استغلال الأماكن المقدسة كأقطاب سياحية، لتوفرها على 6 آلاف ضريح كبير ومعروف، تدرّ ما لا يقل عن 80 مليار سنتيم، في حين يوجد في بعض الولايات ما لا يقل عن 350 ضريح، تدرّ الملايير من الدينارات سنوياً»¹

الجدير بالذكر أنه لا يوجد قانونٌ يحدد الجهة المسؤولة أو المخولة بإدارة عائدات هذه المعالم، ولا توجد رقابة صارمة ولم تصدر الدولة قانوناً يحدد عمل ومهام والنشاطات التي تنظم في رحاب تلك الأضرحة عبر مواسمها حيث من المفروض « أن تتقاسم كل من وزارة السياحة والثقافة والشؤون الدينية مسؤولية إدارتها ما يطرح الكثير من علامات الاستفهام حول مصير الملايير من عائدات المزارات والأضرحة، التي تبقى عرضة للنهب والسرقة دون أن يستفيد منها أي قطاع في تطوير ما يُعرف بالسياحة الدينية أو الروحانية»².

¹ . يومية الشروق الجزائرية، الصادرة بتاريخ: 03 مارس 2016م.

² . المرجع نفسه.

في السياق، يقترح الخبير المالي والاقتصادي بشير مصيطفى، من أجل استثمار المبالغ الوفيرة التي يجمعها القائمون على أضرحة الأولياء في التنمية الاقتصادية، العديد من المسائل وفي مقدمتها ضرورة تتبع قطاع الشؤون الدينية للأضرحة، تماما مثل جميع المؤسسات ذات الطابع الروحي وهو المسؤول عن جمع التبرعات والصدقات مثل المساجد. ونظرا لأن المبالغ مهمة وكبيرة فمن المناسب حسب ذات المتحدث « إنشاء صندوق خاص تحت وصاية الشؤون الدينية مهمته تنظيم عملية تبرعات الأضرحة وجمعها وإنفاقها في سبل الخير وفي صيانة الأضرحة وترميمها وتطويرها»، وأضاف «وبما أنّ هذه المبالغ غير محصاة الآن بسبب ضعف التنظيم فمن المناسب أن يتمتع هذا الصندوق بصلاحيّة إحصاء هذه المبالغ فضلا عن تحصيلها»¹

ومن جهته أوضح الشيخ مأمون القاسمي، شيخ زاوية الهامل، « إنّ الأضرحة نوعان، فهناك التابعة لوزارة الشؤون الدينية، وأموالها تُعتبر وقفا تسيّر الوزارة، ونوع آخر يعتبر تابعا للزوايا التي تقوم عليه، ومن المفترض أن تُنفق في سبل الخيرات التي تضطلع بها الزاوية. « وأضاف الشيخ القاسمي «أن التصرف في أموال الأضرحة والأولياء لا يجوز شرعاً، إذا لم يكن في سبل الخيرات، أو من قبل جهات خارجة عن تلك الزوايا، لهذا يجب أن يتم

¹ . يومية الشروق الجزائرية، الصادرة بتاريخ: 03 مارس 2016م.

إلحاق الأضرحة بوزارة الشؤون الدينية، وأمواها وقف يجب أن تشرف عليها الوزارة في ما تراها مناسبة من سبل الخيرات، وهي كثيرة ومتعددة في المجتمع» علاقة الزاوية والقباب في ولاية النعامة بالجذب السياحي الديني من خلال الوعدات الشعبية:

يتجلى الموروث الروحي والثقافي في الجنوب الغربي الجزائري في عدة مستويات متداخلة. إنها أولاً وقبل كل شيء أهمية الحركة الصوفية، الطرق الصوفية والزوايا، مدارس القرآن الكريم، معالم راسخة في ذاكرة الشعب وقلبه. ومن ثم فإنّ الروحي والثقافي يجذبان الزوار، والمزيد من السياح. والحال هذه، لم يعد يُنظر إلى الأماكن المقدّسة في زماننا الحالي كمصادر إشباع من مكانتها التذكارية لماضي معين فحسب بقدر ما هي فضاء لتشييد الحاضر¹ تبين كافة المؤشرات أن ولاية النعامة يمكن أن تصبح مركزاً سياحياً رائداً، لاسيما في قطاع السياحة الدينية، بسبب مكانتها الدينية والثقافية والتاريخية. فمن حيث الموروث الروحي فقد شهد الجنوب الغربي الجزائري الأعلى، انطلاقا من قصر الشلالة الظهرانية، تأسس أولى نواة للتصوف السني على النظام الشاذلي منذ اللقاء الذي جمع بين الشيخين أحمد بن يوسف الملياني وسليمان بن أبي سماحة البوبكري كما تحفظ الذاكرة الجماعية مناقب رائد التصوف الخلواتي بالجهة الولي أحمد المجذوب وسعيه في إصلاح

¹.Sossie ANDEZIAN, Expérience du divin dans l'Algérie contemporaine: adeptes des saints de la région de Tlemcen, CNRS, 2001, p. 73.

ذات البين. ومن حيث التاريخ الثقافى للمنطقة، تؤثّق المخطوطات والبحوث بروز سيد الشيخ / عبد القادر بن محمد كشخصية مؤثرة فى المسار الدينى والصوفى الثقافى من خلال طريقته الصوفية الشيخية وزاويته، ثم استثمار أبناءه لرصيدِه بعد حين فى تثبيت زعامتهم الصوفية والسياسية، والعسكرية فى مواجهة توغل الجيش الفرنسى فى الصحراء الجزائرية. حيث يُعدّ الشيخ بوعمامة أهم زعماء أولاد سيد الشيخ الغرابة الذى تمكن من تأسيس زاوية خاصة بطريقته العمامية انطلاقا من قصر مغيرار التحتانى، الذى اتخذ منه مقرا لقيادة أركان الجيش الذى قاوم فرنسا طيلة أربع وعشرين سنة.

يكاد يتفرد الغرب والجنوب الغربى من الجزائر بظاهرة التجمع الشعبى حول أضرحة الصالحين، وهى احتفالية تُنظّمها القبائل على شرف الأجداد المؤسسين المعترف لهم بالقداسة. تُعرفُ فى الجزائر بالوعدات (مُفردها: وعدة) حيث تعدّ هذه التسمية الأكثر شيوعا بالقطاع الوهرانى والقطاع الديرى¹. واللافت أنّ الوعدة يرتبط تنظيمها بمواسم الحرث أو الحصاد بحيث يلتبس المريدون البركة بزيارة ضريح الولي، قبل بداية هذه العمليات الاجتماعية وبعد الإفراغ منها، والأمل يجذوهم فى تحصيل محصول زراعيّ وفير.

¹. Émile DERMENGHEM, Le Culte des Saints dans l'Islam maghrébin, Op., cit, pp: 206- 211.

تكمّن أصالة الدّورة الاقتصادية التّقليدية في دعمها لقيم التّعاون والتّكافل الاجتماعي وهو ما يُؤدّي إلى تقوية الرّوابط المجتمعية بين أفراد العائلة والأهمّ منه بين أفراد المجتمع المحلي، ويجعل من التّبادل عملية أخذ وعطاء، حيث أنّ هذه الظاهرة هي نقطة تقاطع بين المجتمعات التقليدية في الغرب ونظيرتها في الشرق، إذ أنّ جزءا كبيرا من المنتجات والمحاصيل يتم توجيهه للطقوس ومهرجانات الألعاب بحيث تُستهلك بطريقة غير مُنتجة في المنطق الاقتصادي، ولكنها مُنتجة وفعالة في المنطق القيمي المجتمعي.

تُلح مؤسسة الزاوية على تكثيف العمل وجمع الثروة مثلما تدعو إليه الجهة المعنية بالاقتصاد فصيانة أماكن العبادة وتنظيم المراسيم والمواسم الدينية كلّها أشغال وترتيبات تتطلب مالا وفيرا وأيدي عاملة يتم تسخيرها في تشييد دور العبادة ومختلف ملاحظها ولعلّه الأمر الذي يُفسر حيازة المراكز الدّينية على ثروة مالية هائلة. هناك من يعيب على هذا المجال الاقتصادي الإمعان في الإسراف والتبذير للثروات المدخرة عوض التّكفل الحقيقي والدائم بالانشغالات الاقتصادية للإنسان، لقد أصبح على العكس من ذلك، مكانا للتظاهرات غير المنتجة، ومغنا للمجانية وللتدمير العبي للثروات¹.

¹. ناتي علي، المقدّس بين المجتمعيّن، التقليدي والحديث، مجلة جيل العلوم الانسانية والاجتماعية، طرابلس (لبنان)، العام السابع، العدد 68، أكتوبر - 2020، ص: 116-118.

تشهد ولاية النعامة عددا من الوعدات، تُجرى على شرف «الوليّ المؤسس/الجد الأول» للقبيلة المرابطية حالة المجاذبة، أو الجد المؤسس للقبيلة وللطريقة الدينية معا، حالة أولاد سيد الشيخ والطريقتين الشيخية والعمامية تشارك في فعاليات الوعدة قبائل الجهة وأبرزها قبيلة حميان وقبيلة العمور وأهل القصور. وحيث تتصدر وعدة الوليّ الصالح أحمد المجذوب ببلدية عسلة وعدات الجنوب الغربي الجزائري، وتنفرد بشهرتها وتميّز عُرفها بوصفها موعدا وحدثا وطنيا واقليميا يستقطب كلّ منتصف شهر أكتوبر من كلّ عام أعدادا غفيرة من الزوّار¹. ولعلّه الانجاز الذي أهلها لافتكاك التّرسيم من لدن وزارة الثقافة إلى مصاف التظاهرات الوطنية الدينية الثقافية، والسياحية الاقتصادية الكبرى. لقد أصبحت هدفا ومقصدا للفضائيات والاذاعات الجزائرية والأجنبية على حد سواء، وكذا وسائط التواصل الاجتماعي على شبكة الانترنت. ثم تليها وعدة أولاد سيد التاج بقصر مفرار التحتاني (قلعة الشيخ بوعمامة).

¹. لا توجد هناك أرقام رسمية إلى غاية اللحظة تتحدث عن حجم التردد الشعبي ولا عن أشكال استخدامات الموقع. غير أنّ التقديرات الوارد في نص الملخص الذي أفادنا به شيخ بلدية عسلة الحالي، تؤشر إلى أنّ عدد زوار وعدة الوليّ أحمد المجذوب في تزايد مُطرد بحيث بلغ 60.000 زائر سنة 2016م ليقفز إلى 70.000 زائر سنة 2017م ثم يصل إلى 80.000 زائر سنة 2018م.

نخلص لنقول بأنّ الوعدات الشعبية هي وقائع اجتماعية متعددة الأبعاد لا تنحصر في الصبغة الدّينية فحسب يتعلق الأمر أيضا « بلحظات مركزية من الحياة الاجتماعية تبرز خلالها المظاهر الدينية والاقتصادية والاجتماعية، النفسية والجمالية لهكذا مجتمع¹ » إذ تعتبر هذه الاحتفالات الدينية المنظمة، في الغالب على شرف وليّ صالح فرصة مواتية لاستثمار المقدّس في مجالات: العروض التجارية والجولات السيّاحية وكذا التسويق السياسي !

ويمكن للسياحة الدينية أن تؤدي دوراً مهماً في ازدهار اقتصاديات ولاية النعامة والنهوض بمستوى الخدمات الانسانية والاجتماعية في ظل توفر الولاية على طريق مزدوج حديث الانجاز، مما يُتيح فرص تنمية اجتماعية واقتصادية من خلال تطوير القطاع السياحي باعتماده على عنصر العمل وهذا يعني أن للسياحة قابلية فائقة على إيجاد فرص عمل جيدة ضمن حدود الاستثمار في الخصوصيات الثقافية للمنطقة حرصاً على إبراز الجوانب الروحية والثقافية، والتاريخية المتميزة أمام زوار مواقع السياحة الدينية والتراث المقدّس في ولاية النعامة، مما يستدعي الاعتناء بتنفيذ عدد من مشاريع البنى التحتية التي توفر جانباً مهماً من مستلزمات الحياة العصرية، ليس ضمن حدود البلديات المعنية بالسياحة الدينية فحسب، بل وفي كل المواقع التي

¹. Fennek REYSSO, Pèlerinages au Maroc : Fête, politique et échange dans l'islam populaire, Paris: Éd. de la Maison des Sciences de l'homme, 1991, p.201

يتواجد فيها الزوار، وتشمل مشاريع الخدمات كافة. وإن هذه المشاريع لا تقتصر على استخدامات الزوار لها فقط وإنما تشمل جميع بلديات الولاية. غالباً ما يتم تنفيذ المشاريع التنموية، بالدرجة الأساس، في المدن الكبيرة، ويكون ذلك على حساب البلديات الصغيرة والمراكز الريفية أو البدوية النائية. ففي الوقت الذي ينعم فيه سكان المدن بكل مستلزمات الحياة العصرية، فإنّ سكان الأرياف والبوادي يعانون من نقص شديد في هذا المجال، وهذا يؤدي إلى التوزيع غير العادل للتنمية والدخل. ففي ولاية النعامة على سبيل المثال تُجرى أبرز فعاليات الوعدات الشعبية في البلديات الصغيرة والأماكن النائية كما هي الحال في بلدة عسلة، وبلدة مغرار التحتاني وهنا يأتي دور السياحة الدينية في حث السلطات المعنية بضرورة توزيع عادل للدخل والمشاريع التنموية حتى تنال هذه البلديات الصغيرة حظها وحقها وبالخصوص مشاريع الطرق والنقل والخدمات كالأسواق والفنادق والمطاعم والمرافق السياحية وغيرها.

وبالتالي تنمية القطاعات الأخرى التي تمد السياحة الدينية بعناصر الإنتاج، والمتمثلة بالدرجة الأساس بقطاعات البناء والإنشاء والصناعات المحلية المتعددة وخاصة الحرف والمنتجات الفلاحية والرعووية التي يمكن الاعتماد عليها في سد حاجات السوق المحلية.

للسياحة عموماً قدرة عالية على استحداث سلسلة من العمليات والنشاطات الإنتاجية (بسبب امتدادات الطلب السياحي المعقدة المباشرة منها وغير المباشرة إلى أكثر فروع وقطاعات الاقتصاد الوطني) وتسهم في قيام العديد من الصناعات الثانوية والجانبية. وبناءً على ذلك فإن آثار السياحة الدينية تمتد إلى القطاعات الأخرى، وبذلك تكون محركاً قوياً للاقتصاد الوطني الجزائري.

وعلى الرغم من أن الودعات الشعبية وزيارة أضرحة الصالحين، ومجمل مكونات التراث المقدس الأخرى تشكل عنصر الجذب الأساس في مجال السياحة الدينية، إلا أن تحسين البيئة وتطوير المواقع التاريخية والأثرية تعد من الأولويات المهمة التي لا غنى عنها وهي مكتملة للسياحة الدينية. فالزائر أو السائح الذي يقطع المسافات الطويلة لتأدية مراسيم الزيارات الدينية، يرغب أيضاً بممارسة بعض الأنشطة الثقافية والترفيهية منها الامتاع من ألعاب الخيالة والفرجة الفلكلورية الشعبية، وزيارة القصور العتيقة والتنزه والاستحمام في بساتين الواحات، والاطلاع على المعالم التاريخية والأثرية الموجودة ضمن حدود المناطق الدينية. وجزءاً آخر من الوقت يخصص للتسوق الأسواق الشعبية. وهذا يتطلب الاهتمام بالجوانب التالية:

- حماية البيئة من التلوث؛

- حماية الواحات وبساتينها؛

- إقامة الحدائق العامة والمتنزهات، وملاعب الأطفال ومتنزهات الخاصة بالنساء والأطفال فقط؛

- ترميم وصيانة القصور العتيقة وتحسينها، وتشجيع الاستثمار السياحي بداخلها؛

- ترميم وحماية المواقع التاريخية وتحسين الأحياء القديمة.

ويُعدّ الزائر أو السائح أفضل مواطن صحفي يمارس الدعاية الاعلامية المجانية الصادقة التي توصل الخبر عن واقع التطور الموجود في الولاية عند عودته إلى ولايته أو بلده.

وحيث يعني استقطاب واستقبال آلاف الزوار والسواح سنوياً، يعني كسب تأييد عشرات الآلاف من أبناء الجزائر وضيوفها، إذا ما تم استضافتهم بطريقة حضارية لائقة، وكسب رضاهم من خلال حسن الضيافة والمعاملة وتوفير كافة الخدمات والمستلزمات الضرورية لهم.

في الأخير، علينا أن ندرك بأنّ العالم يتجه بوتيرة سريعة نحو توظيف التقنيات وتكنولوجيات الاعلام والاتصال الحديثة في كل جزئيات العمل السياحي سواء في:

- إعداد ونشر المعلومات السياحية ضمن مطويات فاخرة، ومجلات متخصصة، وعلى مواقع إلكترونية عالية التقنية والجودة؛

- فتح قنوات إذاعية وفضائيات متخصصة في النشاط السياحي واقتصادياته

- ترتيب وتنفيذ البرامج السياحية وفق استراتيجيات مدروسة وآجال مُحدّدة؛

- إعداد وتأهيل الاطارات السياحية؛

- تصميم وبناء المنشآت الفندقية والترفيهية للسائحين.

وتبقى التنمية المستدامة هي التنمية الاقتصادية والاجتماعية المتجددة والقابلة للاستمرار دون الأضرار بنوعية الموارد الطبيعية التي تستخدم في الأنشطة البشرية وتعتمد عليها عملية التنمية. وبذلك يعتبر القطاع السياحي أحد القطاعات الإضافية الناشطة إلى جانب القطاعات الاقتصادية الأخرى حيث يساعد على نمو البلد اقتصادياً واجتماعياً.

وتسعى العديد من الدول وخاصة الدول التي تهدف إلى تحقيق تنمية مستدامة إلى تطوير وتنشيط القطاع السياحي لما يُحدثه من تنمية اقتصادية واجتماعية. على أن سياسات السياحة لا تبنى فقط على اعتبارات اقتصادية وتكنولوجية، ولكن يجب أن يؤخذ بنظر الاعتبار أيضاً الحفاظ على البيئة واحتياجات السكان المضيفين عامة والذين يعملون في الحقل السياحي خاصة، إذ أن السياحة التي تستجيب لهذه الشروط هي السياحة البديلة أو السياحة المتوافقة والتواصل السياحي لاسيما من خلال شعبة السياحة الدينية التي تحمل قيم التربية الروحية وقيم التعايش والسلام بين شعوب العالم.